

الوجه كلغة ايتيقية لفهم الآخر عند إيمانويل ليفيناس.

The face as an ethical language for Under standing of the other according to Emmanuel Levinas

موسى أمعوش¹*¹ جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، الجزائر، M.amaouche@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/14 ؛ تاريخ القبول : 2025/09/30

ملخص: تنطلق هذه الدراسة من إشكالية محورية تتمثل في التساؤل: كيف يمكن لفلسفة الوجه عند إيمانويل ليفيناس أن تؤسس لثقافة حوارية وأخلاقية تتجاوز البعد الأداتي والمصلحي نحو الاعتراف بالآخر والعيش المشترك؟ ولإجابة عن هذه الإشكالية، نعتد منهاجا تحليليا تأويليا يقوم على تفكيك مفهوم الوجه عند ليفيناس وتأويل دلالاته الأخلاقية والإنسانية وربطها بإشكالية الحوار والتواصل في الفلسفة المعاصرة وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح دلالة الوجه بوصفه حضورا أخلاقيا يتجاوز المظاهر المادية، وإبراز مكانة الآخر في بناء العلاقة الإنسانية مع الذات وفق التصور الليفيناسي، ثم بيان الكيفية التي يسهم بها هذا المفهوم في تأسيس ثقافة الاعتراف والحوار والعيش المشترك.

الكلمات المفتاحية: فلسفة الوجه، الآخر، المسؤولية الأخلاقية، الحوار والتواصل، ثقافة العيش المشترك.

Abstract:

This study addresses a central question: How can Emmanuel Levinas's philosophy of the face establish a dialogical and ethical culture that transcends instrumental and utilitarian dimensions toward recognition of the other and coexistence? To answer this, an Analytical hermeneutical method is adopted to examine the concept of the face, interpret its ethical and human meanings, and relate it to dialogue and communication in contemporary philosophy. The study aims to reveal the face as an ethical presence beyond material appearances, to highlight the role of the Other in shaping human relations, and to show how this concept contributes to fostering a culture of recognition, dialogue, and shared living.

Keywords : philosophy of the face, the Other, ethical responsibility, dialogue and communication, culture of coexistence.

* المؤلف المراسل. أمعوش موسى

1- مقدمة

يشغل مفهوم الوجه موقعا محوريا في فلسفة إيمانويل ليفيناس، حيث لا ينظر إليه بوصفه مجرد مظهر مادي، بل كحضور أخلاقي يكشف عن هوية الآخر ويفرض على الذات مسؤولية مطلقة تجاهه هذا التصور يتجاوز الاختلالات النفعية ليؤسس لعلاقة قائمة على الاعتراف، والحوار، والتواصل، والعيش المشترك من هنا تبرز الإشكالية الأساسية: إلى أي حد يسهم مفهوم الوجه عند ليفيناس في ترسيخ

ثقافة حوارية تواصلية تقوم على الاعتراف المتبادل والتعايش الحضاري؟ وللإحاطة بهذا السؤال، سيتم اعتماد منهج تحليلي تأويلي ينطلق من قراءة نصوص ليفيناس وتأويل دلالاتها الإيتيكية، مع ربطها بإشكالات الحوار في الفلسفة المعاصرة، وتتحصر حدود المقال في تناول حضور الوجه داخل الفلسفة الأوروبية المعاصرة خاصة في فترة القرن العشرين، مع إبراز راهنيته الأخلاقية والفكرية في النقاشات المعاصرة حول ثقافة الاعتراف والتعايش.

1.1- أساس الخطاب الفلسفي عند ليفيناس:

إن القيمة الحقيقية للخطاب الفلسفي تكمن في الانشغال بالموجودات الزمانية التي هي أنفسنا نحن بهذا الشعار الذي تم تدوينه منذ قرابة ثلاثين سنة، جعل ليفيناس يثير إشكالية فريدة من نوعها في الفلسفة، وبين الفلاسفة، تتمثل في معنى الفلسفة وعلاقتها بالحياة أو معنى الخطاب الفلسفي ورهاناته في الحياة، هذا ما أدى بالعديد من الفلاسفة الفرنسيين الآخرين إلى تقاسم هذه الإشكالية الراهنة لدرجة جعلوها عناوين لمؤلفاتهم أمثال جيل دلوز، فليكس غوتاري مثل كتب ما الفلسفة؟ هؤلاء إنما أرادوا الإجابة عن هذه الإشكالية ولو أن الفلسفة تعني صياغة وخلق للمفاهيم، إلا أنها بحاجة إلى فهم آخر، أو كما يحبذ ليفيناس نحن بحاجة إلى فلسفة عنوانها لا فلسفة مهمتها هي تبيان كل الحقائق والماهيات المتعلقة بالموجودات كما هي متجلية في الزمان، من هذا المنطلق ينتج خطاب فلسفي ينتقل من التساؤلات التي تثير الشكوك وتنزع الأيقان، إلى خطاب راهني يدفعنا نحو دروب النظر في الذات والحياة والعالم، تأسيساً على ذلك تكون الفلسفة لا تهتم فقط بالمفاهيم المجردة وتخطب القضايا المعقدة وإنما تكون هي مثل الفلسفة العقدية التي تستحضر الانفعالات المشاعر الحسية، الحياة، الزمن (ليفيناس، 2008، صفحة ص16)

إن فلسفة إيمانويل ليفيناس بناء على ماسبق هي نقد للفلسفة كطريقة تفكير وخطاب للسياسة، والهيمنة والاستغلال الفلسفة هي علم بالظواهر يطرح تساؤلات من بينها مثلاً: كيف لنا أن ننقل ونرتقي بالخطاب الفلسفي الذي يهتم بما هو قبلي فلسفي عفوي إلى خطاب فلسفي راهني من شأنه أن يتيح لنا إمكانية فهم الحقيقة الكلية كما تتجلى لنا في الحياة والزمن؟ كما لا ننسى أيضاً بأن ليفيناس يمتلك ثقافة دينية عقائدية قوية، شاب غذي باليهودية الليتوانية والأدب الروسي، وانتقد العقيدة اليهودية بشدة في فترة القرن العشرين وتمرداتها عن التراث اليوناني بحكم أنها فلسفة تقصي الآخر، والحوار، التواصل وما إلى ذلك، وقيل حتى رفض من الجامعات الألمانية بسبب يهوديته التي تجاوزت اليهودية آنذاك، فإذن ليفيناس كان رائداً لهذا المنعطف الإيتيقي الذي ازدهر بشكل كبير في فرنسا آنذاك أو ما يعرف بالمنعطف الإيتيقي الفينومينولوجي. ويعرف كذلك بالقلق الإيتيقي الذي تقاسمته الثقافة اليهودية الصماء، والفينومينولوجيا الهوسرلية والأنطولوجية الهيدغرية جعل منه يؤسس لخطاب فلسفي راهني عنوانه الفلسفة هي ابنة الزمن والتجربة المعاشة، لأن الحقيقة لا تتفصل عن زمانها ولو تجاوزته (ليفيناس، 2008، صفحة ص26)

انطلاقاً من ذلك نجد أن ليفيناس أراد أن يؤسس لخطاب فلسفي يطلب من خلاله تعويض الفهم الفينومينولوجي للحياة الذي ليقف على المعنى الكلي والشامل للظواهر، والفهم الأنطولوجي للحياة انطلاقاً من الكينونة، تلك التي تعترف بالذات كذات أو الأنا بما هو مجتث ومكتفي بذاته، إنه خطاباً يجد حلولاً للهفوات التي تركتها الفلسفات

السابقة والحدائية منذ الفلسفة الهيغلية، خطاب سعيد الاعتبار للحياة ومعناها من منطلق أنها تحددها هذه العلاقة الموجودة بين الذات والآخر، وينتقد هذه العلاقة التي لم تراعيها أكثر الميتافيزيقا التقليدية أو كما عبر فيما بعد لفيناس بأن المشكلة لا تكمن في الميتافيزيقا في حد ذاتها وإنما في الأسئلة التي تطرحها، خاصة الأسئلة التي تحتوي علاقة الذات بالآخر، هنا ينبغي للخطاب الفلسفي أن يكون خطابا إيتيقيا بالدرجة الأولى وفي هذه الإيتيقا تتبلج كل أشكال الحوار والتواصل، والاعتراف المتبادل، وعالم الحياة وغيرها من التسميات المتوارثة (بوطيب، 2019، صفحة ص11)

2.1- الخطاب الفلسفي بما هو خطاب إيتيقي:

إن الإيتيقا التي يتحدث عنها إمانويل لفيناس هي إيتيقا من خلالها نستطيع فهم الحياة، وحركة الزمن التي تسري فيه، وفيها يمكن اكتشاف الموجودات كما تبدو على حقيقتها في الوجود هذا كذلك لا ولن يتم دون العودة إلى طرح مسألة العلاقة الموجودة بين الذات والآخر، خاصة مسألة الآخر، وفي هذه العلاقة بالنسبة لفيناس يتجلى الفهم الأصيل للحياة وللواقع المعيشي. على أساس أنه واقع يتأسس بالحوار والاعتراف المتبادل والتعاليق اللانهائي بحيث يكون طرف الآخر هو الأهم في كل هذه الإيتيقا الوجودية المؤسسة. يؤكد لفيناس أن تواجد الذات أمام الآخر من خلاله تتحقق العلاقة وتكتمل وتتحدد عوالم الحياة والعيش المشترك، بالمفهوم الراهني لن يتضح كذلك إلا داخل معنى هذه الإيتيقا التي هي الحقيقة، مثال ذلك علاقة الفرد بالفرد تتضح في العلاقة الأخلاقية أي أن المعنى يتضح عندما يتحقق هناك حوار وتواصل واعتراف بين الذات والآخر، يرى لفيناس أن الآخر هو المعنى، والذات لا يمكن أن تتضح كليتها وحقيقتها في معزل عن الآخر، إن الذات حسب هذا المفهوم هي ذات أمام الآخر، لكن هذا لا يعني أن الآخر هو ذاتي ولا هو ثانوي ليس موجودا داخل ذاتي بقدر ما هو مصدر لذاتي فقط، معنى ذلك أن الآخر ليس بالمفهوم السارتري جحيما يسلب ويسرق حريتي وهويتي كذات، وإنما حضور الآخر بالنسبة لي كذات هو مسؤولية وتعاليق (correlation) بالمعنى الإيتيمولوجي con و relation هذا المفهوم سيأخذه لفيناس من أستاذه "هرمان كوهين" الذي استخدمه في الفكر اليهودي بمعنى العلاقة بين شيء وآخر كالعلاقة بين الإنسان والإله، لكن هذه العلاقة تحمل في طياتها عند لفيناس ثقل فلسفي إيتيقي ومن ثم تصبح هذه العلاقة ليس لها بعدا دينيا كما هو الحال مع هرمان، ولكنها بعدا إيتيقيا، ببساطة هي علاقة قوامها تحمل المسؤولية، أنا في علاقة مع الآخر يجب علي تحمل مسؤولية هذا الآخر، وذلك يكون سابقا عن كل تحمل مسبق أو حريتي داخل ذاتي، من خلال هذه العلاقة التي يتحدث عنها على أساس أنها علاقة إيتيقية ينتج بأن الذات وجودها هو وجود له دلالة إيتيقية أخلاقية أمام الآخر، وينتج كذلك الفهم الجديد للذات على أساس أنها ليست الذات التي نتحدث عنها الميتافيزيقا السابقة من أنها تعطيل للحرية أو هي كرهينة، وإنما هي الذات التي تمثل منبع للتواصل والاعتراف والتبادل والتناوت بلغة هابرماس، هي ذات بطولية مصدر لإيتيقا الحوار والتعامل الحضاري والتعايش المشترك خاصة مع الآخر (بوطيب، 2019، صفحة ص15).

فإن لفيناس ينظر إلى العلاقة بين الذات والآخر في بعدها الإيتيقي الأخلاقي، لذلك يؤكد على أن ألم الآخر يرغمني على تحمل كل المسؤولية التي تجعل مني ذاتا تعمل على تجاوز ذاتها، وفي هذا التجاوز ينتج البعد عن اللامبالاة، واكتشاف معنى الحرية، والانفصال، وكذلك التعامل يكون منطقي فيه كل أشكال

الحوال والتبادل والاعتراف بعيدا كل ذاتية مغلقة، وفي نظر ليفيناس على الذات أن تسكن بجوار الآخر ولا معنى لها إلا بهذا الارتباط الإيتيقي الذي يكشف عن انغلاقها وعزلتها وتحجرها. ولهذا وجود الذات هو وجود إنساني أمام الآخر، هذا هو معنى الحياة. ومعنى الإنسانية فيها هنا ليفيناس يعود إلى كتاب أستاذه "روز نتسفايغ" عنوانه: "نجمة الخلاص" في فكرة مفادها أنه يجب الدفاع عن إيتيكا تقوم على تكامل العلاقة بين الذات والآخر وهذه العلاقة لا تتجسد إلا بلغة وهذه اللغة يجب أن تحضر في اللوغوس هذه اللغة هي نوع من الحب، لكن عند ليفيناس اللغة التي تضمن دلالة العلاقة وتجسدها بين الأنا والآخر صحيح هي اللغة كذلك لكن هذه اللغة ليست هي الحب بقدر ما هي لغة الوجه، الوجه هو لغة (بوطيب، 2019، صفحة ص17) يعني ذلك تقابل الذات مع الآخر يكون له معنى عندما يكونان وجها لوجه وحضور الوجه عند ليفيناس له أكثر من معنى يا ترى ماذا يعني الوجه عند ليفيناس؟

3.1_ الوجه بما هو لغة إيتيكية للحوار والتواصل وكشف الحقيقة:

يؤكد ليفيناس أن الآخر الذي يتموقع أمام الذات هو وجه كذلك وحضور هذا الوجه أمام الذات ليس حضورا ماديا ومنفعيا كما يعتقد البعض من الفلاسفة وإنما الوجه هنا هو في حد ذاته لغة، هذه اللغة يجب علينا معرفتها كما لا يمكن اختزالها هذا يعني أننا عندما نكون أمام الآخر نحن أمام مسؤوليات كبيرة إن صح القول كما يصطلح عليها ليفيناس نحن أمام حرب وينبغي أنطرح عدة أسئلة هنا: هل عندما أكون أمام الآخر وأقابل وجهه أحاربه لأنني لدي حق أو أمتلك حقيقة مطلقة؟ وهل هذا السلوك الذي أنا أقوم به يرادف معنى الحقيقة في حد ذاته؟

يجيبنا ليفيناس في كتابه الكلية واللائي يقول: "إن الحضور هو حضورنا ومشاركتنا مع الآخر والمشاركة هي الكيفية التي نكون عليها أنفسنا حينما نكون بجانب هذا الآخر إنه الاتصال وليس الانفصال (...)" البحث عن الحقيقة هو أن تكون في علاقة (...) (Levinas, 1971, p. 80_79) يعني ذلك أن الحقيقة هي هذا الاتصال المستمر بين الأنا والآخر وفي الكيفية التي نحن نتواجد أمام هذا الآخر وجها لوجه، وعندما نذكر الوجه هنا يؤكد ليفيناس أننا أمام لغة تفتح لنا عوالم كبيرة لأنها تخلص ذواتنا من التفرّد وتكسر عنها حواجز العزلة والوحدة، لتصبح ذاتا متصلة ومشاركة مشاركة إيتيكية. هذا إنما يدل على أن ليفيناس يريد أن يجعل الخطاب الفلسفي راهني يفتح على الآخر عبر ثقافة عنوانها ثقافة الغيرية، وهذا بطبيعة الحال هو انتقاد مباشر للميتافيزيقا التقليدية، ونخص بالذكر المثالية الأفلاطونية التي إن صح القول ضحت بالذات الإنسانية على متاهة المطلق والتجريد اللامتناهي، ليفيناس هو ضد هذه الحرب إن صح القول التي أعلنتها الميتافيزيقا التقليدية على الكينونة والكينونة هنا لا يفهمها ليفيناس على أساس أنها تواجد وقذف في العالم بحث ذلك يكون في إطار عزلة تامة أو انغلاق مستمر دون اتصال أو مشاركة إن الذات هي أمام مسؤولية كبيرة إذا أرادت أن تتحقق كينونتها مسؤولية تفرض عليها الوجود أمام الآخر وهذا الآخر ليس خصما وعنفا وانتزاعا لطموحات الذات مستقبلا بقدر ما هو انفتاح لها تحرر لها، نحن بحاجة إلى إيتيكا الآخر من خلالها نتضح قيمة الذات ولا تكون ذات مغلقة على ذاتها، بفضل ذلك نستطيع أن نفتح الحوار والاتصال ونعترف أكثر نعيش عيشا مشتركا هنا نتضح معالم الكينونة الحقيقية والخطاب

الفلسفي الحقيقي اليوم لابد أن يكشف لنا عن هذه الكينونة الأصلية التي هي جوهر الحياة (بوطيب، 2019، صفحة ص19)

يضيف لفيناس إلى ما سبق أن الوجود هو وجود مع الآخر عبر الوجه أي وجوها لوجه والوجه هنا عندما يقابلني يعني ذلك أن هذا الآخر الذي أمامي أقيم معه علاقة إيتيقية خالية من كل حكم مسبق أو مصلحة منفعية كذلك هذه العلاقة ليست قائمة على العنف والمقاومة، يعني ذلك ليس إرغام الآخر وإجباره على التواجد بقوة معنا أو يحقق لنا رغباتنا وطموحاتنا حسب لفيناس ينبغي أن نجرد هذا الآخر من سلاحه، ومن عنفه وقوته، وكذلك ترسندنتاليته هذه الذات التي تقيم علاقة مع الآخر عبر لغة الوجه يؤكد لفيناس بأنها ليست ذاتا تمتلك عزة نفس أو قوة السيطرة و الهيمنة وكل أشكال الطغيان ببساطة ليست قوة عسكرية بحوزتها كل مقومات الدفاع ، بل على العكس من ذلك إنها قوة لا تحتاج إلى ما تحتاجه القوة العسكرية من معدات بل فقط بلغة لفيناس تحتاج إلى ثقافة إيتيقية هي من تتيح لها إمكانية التواصل الحوار، الاعتراف المتبادل، أو التزاوت بلغة هابرماس لأنها في نظر لفيناس هذه هي الحياة وفي إطار التواصل والحوار والعيش مع الآخر إيتيقيا هذا يجسد معنى الحضارة والتغير والوصول إلى أفق التفلسف (بوطيب، 2019، صفحة ص21) فإن الذات التي يريد لفيناس أن تقابل الآخر هي ليست ذات عنيفة ولا تحمل في جوهرها إيديولوجية، الذات من الآن فصاعدا ليست جزءا من نظام مغلق كما تعتقد ذلك الفلاسفات الميتافيزيقية السابقة، وإنما هي في علاقة مع الآخر والموجودات التي هي في العالم وعلاقة الذات بالآخر كما يوضحها لفيناس أكثر هي علاقة وجه لوجه الوجه الأول يمثل الذات والوجه الثاني هو الآخر بل حتى الموجودات الأخرى ، لكن الذات عندما تقابل الآخر كمثال عند لفيناس هي مقابلة وجه لوجه وهذا ما يعرف بالحضور الإيتيقي عند لفيناس وهذا الحضور الإيتيقي يلغي في تلك العلاقة كل أشكال السيطرة، التماهي، الاستحواذ... الخ كما يدل على أن الذات تقصد الآخر وحتى الموجودات التي هي أمامها قصدا إيتيقيا بمعنى لا تعبر الآخر مثلا مجرد موضوع كباقي الموضوعات الأخرى وإنما هو يمتلك حضور له دلالة بالنسبة لنا كذوات أي أن اللقاء هنا هو لقاء حقيقي، ولا نفهم بأن الإيتيقا التي يحدثنا عنها لفيناس بأنها هي الاندماج، الانغلاق وإنما هي دلالة تجعل من الآخر على سبيل المثال كأر يخاطبنا في الوجه (بوطيب، 2019، صفحة 27)

إن هدف لفيناس من خلال هذا المشروع الإيتيقي الذي يعتبره مشروع حوار وتواصل وبناء حضارة لا يهدف من خلاله إلا إلى البحث عن معنى الإيتيقا التي تشتغل في مقابل الأوتونوميا وهذه الأخيرة تركز لثقافة التخلي عن الآخر واعتباره مجرد موضوع يفهم في أطر مغلقة، كما أن لفيناس بهذا المشروع يريد تجاوز هذا الاستغناء والانفصال، والاختلاق ليحل محل ذلك الاعتراف والتواصل والحوار والعيش المشترك، لأن ذلك يعبر عن معنى الوجود والكينونة والحياة ، أضف إلى ذلك أن هذا المشروع اللفيناسي هو مشروع عقلاني لكنه في الوقت ذاته هذه العقلانية التي يمتلكها تتجاوز العقل والأسئلة التي يطرحها في الميتافيزيقا التقليدية إنها عقلانية تطرح أسئلة مثل لماذا؟، لماذا أنا هنا؟، هل وجودي كذات لوحدي أم مع الآخر إذا كان كذلك كيف يتم ذلك؟ مثل هذه الأسئلة هي أسئلة إيتيقية تتجاوز الأسئلة التي كانت تطرح في الميتافيزيقا التقليدية مثل سؤال الجوهر ما هو؟ حسب لفيناس الأمر هنا يتعلق بميتافيزيقا الانفصال،

والإختلاف، والتواصل، والحوار، وكذا الاعتراف، مثال ذلك نجده يلج على ميتافيزيقا الآخر القائمة على الحوار والتفاعل، والتواصل بحكم أن الذات كما يعتبرها لفيناس سلبية عليها أن تكتشف عن البنية القصدية الحقيقية لها وهذه السلبية هي في حد ذاتها مسؤولية كما ذكرنا سالفاً، ولا متناهية. (بوطيب، 2019، صفحة ص31)

4.1_ الخروج من الذات (la sortie de soi) ومقابلة الآخر وجها لوجه:

إن لفيناس في مشروعه الإيتيقي والذي يعتبر مشروع حوار وتواصل واعتراف يؤكد على مسألة الخروج من الذات والخروج هنا يكون من البيذاتية المغلقة إلى التداوت الذي يقبل الحوار، الاعتراف بوجود الآخر ويبحث عن الوجود والكيونة الأصيلة، لأنه بالنسبة له في هذا الحوار وهذا التبادل والتعلق والتواصل أتتحقق سوى كذات ووعي حقيقي، وليس مجرد ذات ترنسندنالية مغلقة، كما أن الرغبة في الخروج والانفصال وتحقيق التواصل والاعتراف لا يكون إلى بهذا الخروج الأخلاقي الإيتيقي، هذا في حد ذاته هو مسعى لاكتشاف ما هو موجود أمام الذات اكتشافاً حقيقياً وعلم الوجود هذا الذي يطلعنا عليه لفيناس ليس ذلك علم الوجود الحديث الذي ورثه هيغل وأتباعه، ثم فيما بعد أعطى له هوسرل وهيدغر بعداً ظاهرياً يجعل من الذات تكون أكثر قرباً من الأشياء وتلك الأشياء هي من تمثل ذاتها، ثم بينوا فيما بعد أن وجود تلك الموجودات أمام الذات حتى الآخر في حد ذاته هي من تكشف عن حقيقتها أمام الذات وما مهمة الذات المفكرة (لفيناس، 2008، صفحة ص99) هنا سوى تعقل واكتشاف ماهية ما هو موجود أمامها، ومنح تلك الموجودات وجودها كما تتجلى وتتضح فيه.

يعد لفيناس من بين الفلاسفة الذين انتقدوا مثل هذه التصورات حول علم الوجود الذي قدمته الميتافيزيقا التقليدية أو ما يعرف بالتقليد الوجودي، هنا يقصد لفيناس بالذات علم الوجود كما فهمه مثلاً كل من هيغل، ومارتن هيدغر وهو فهم الموجودات انطلاقاً من ممثلاتها في الكل، هذا ينفي الغيرية عن الذات ويدخلها في قفص العزلة حتى هناك من بين بأن الكيونة وعلم الوجود الذي أرسى دعائمه هيدغر هو علم لا يفكر في الكليات وإنما مسألة الكليات وكل المقولات المتعلقة بما هو كلي تنتمي إلى الميتافيزيقا وأن الميتافيزيقا بينت عالم الوجود وطريقة تواجد الموجودات، لكنها أهملت الموجود، لكن لفيناس من خلال مشروعه الإيتيقي يريد الكشف عن مبدأ أساسي وهو أن الوجود في العالم هو وجود إيتيقي إن الموجود في العالم له دلالة إيتيقية تتضح أكثر عندما يكون مع الغير، أو الآخر، هناك ظواهر مختلفة توجد أمام الذات لا يمكن فصلها عنها، إن الاتصال مع ظواهر الوجود وإقامة علاقات هذا يعزز الوجود الحقيقي للذات (لفيناس، 2008، صفحة ص100) إن لفيناس من خلال ما سبق ليس مثل الفلاسفة الذين أكدوا على فلسفة الهولوكوست التي من شأنها تختزل الأنا في الآخر أو الآخر في الأنا، أو الذات التي توجد مع الآخر عقلها عقل آداتي إن لفيناس بعيد كل البعد عن هذا التصور المغلق إن صح التعبير على ذلك.

5_ منطق الآخر:

إن الخطأ الذي وقعت في الفلسفة الميتافيزيقية التقليدية هو تصورنا الناقص للذات، ومنذ ديكارت أو الكوجيتو الديكارتي نجد أن التصور للذات هو تصور يختزل الآخر، والغيرية بهذا المعنى صورية وما الآخر سوى تحصيل حاصل لذاتي وكما يؤكد لفيناس أن الغيرية هي سابقة عن كل تشبيه وتكرار، لها منطق خاص بها، الآخر مثلا لا يمكن فهمه على أنه مجرد فكرة داخل فضاء الوعي وإلا الذات هنا تصبح ذات تتصور لا أكثر.

إن المسؤولية التي حمل لفيناس بها الذات هي أنها لا بد من فهم منطق الغير والآخر والفهم هنا هو فهمها إيتيقيا، بمعنى أنا كذات لا أتصور فقط ما هو أمامي وعلى غرار ذلك الآخر على أساس أنه هناك موضوعات أو موجودات يتم إدراكها فقط هذا النوع من الذات ليس له حضور عند لفيناس إنها تبقى مجرد ذات مفكرة مثل الذات التي أسسها الكوجيتو الديكارتي من أن الوجود يمكن إثباته عن طريق الفكر وهذا ما غير الوعي الأوربي عموما إن الذات الحقيقية والأصيلة هي الذات التي تستوعب منطق الآخر والمنطق هنا هي أن تفهم ما يوجد أمامها فهما إيتيقيا يؤسس للحوار والتواصل وإقامة علاقات علائقية تحررية تفاعلية كما يعبر لفيناس في الكبر من مؤلفاته، إن الذات بهذا المعنى هي بحاجة إلى العالم والآخر وبهذا المنطق تتكشف لها الكثير من العوالم التي تفتح أمامها (بوطيب، 2019، صفحة ص55) إمكانية التحرر، الانفتاح الانفصال، التغير وتصبح بعد ذلك ذات فيما وراء الذات.

وفقا لإيمانويل ليفيناس الميتافيزيقا التقليدية مهمتها هي البحث عن الوحدة. السبب هو بذل الجهد نحو إقامة علاقة مع الواحد. وكانت لا تؤمن بفكرة التعدد وإذا كان الواحد موجودا وكفى بذاته، فلماذا التعدد والتعدد؟ إذا كان الوجود فلماذا الكائنات؟ أو الموجودات التي هي في العالم، بالنسبة للذات في الميتافيزيقا السابقة التعدد لا يناسب الفكر وهو الوحدة الذات المفكرة موجودة فقط وهي تدرك كل شيء في أشكال تجريبية أو عملية علامة. وهذا عائق يجب إزالته. على أية حال نحن دائما في اعتقاد لفيناس لا نفسر كل ما هو خاص إلا من خلال ربطه بالكل على العكس من ذلك، يجب أن تكون هناك رغبة في إعطاء حالة ميتافيزيقية مهمة للتعدد ويظهر أنه بمعنى ما هناك المزيد (Levinas, 1971, p. p123)

إن مشروع لفيناس الفكري الفلسفي يتمركز حول معرفة واكتشاف العلاقات الإنسانية الحقيقية التي يكون منطلقها الذات أو ما يعرف بالخارج الميتافيزيقي، وهذه فلسفة أكثر مناهضة للفلسفة السبينوزية التي ترجع المعرفة إلى كل ما هو ذاتي عقلي فقط، إن الفلاسفة السابقون يريدون تأسيس فلسفة شعارها هو اعتبار الذات مركز الوجود وينبغي أن تكون هناك مجاهدة وحرب كاملة داخلية من شأنها أن تجعل هذه الذات هي سيدة على كل شيء، في حين لفيناس ينفي ويستبعد كل ما له علاقة بهذه الحرب على أساس أن الحرب ليست فقط حربا داخلية بل هي أيضا حربا خارجية يعني فهم كل مله علاقة بوجودي تأسيس علاقات، تحقيق إمكانيات... الخ كذلك هناك حرب داخلية لكن هذه الحرب هي التي تجعل من الذات تتفصل عن ذاتها وتنتشر في الوجود، أو ما يعرف عند هيدغر بالانشراف الوجودي هناك أيضا بهذا المعنى أنطولوجيا للحرب وفلاسفة الحرب اليوم هم فلاسفة الكل، وليسوا فلاسفة التعدد والكثرة والتنوع، والسلام بالنسبة لهم هو فقط مصالحة الوجود مع ذاته، ولإعادة بناء الكل وانتصار الشيء ذاته، وهذا ما نجده في العديد من الفلسفات السابقة مثل فلسفة ماركس وهيغل على الرغم من الحقائق التي قدمتها هذه

الفلسفات والتي هي حقائق تجريدية بل وجزئية إلا أنها تؤسس فقط لإيتيقا لكن هذه الإيتيقا قائمة فقط على سيادة الذات والعقل والضمير في النهاية لوحده.

الحقيقة عند لفيناس تقتضي بناء إيتيقا تؤسس العلاقات الإنسانية وتهتم بتحقيق الذات في إطار هذه العلاقات وهذا التشارك لذلك يجب أن نهتم أكثر بتلك العلاقات التي تتم بين ذوات أكثر انفصالا، بعيدة عن معارضة بعضها البعض، من خلال انفصالها تتحد كذلك وفي الوقت ذاته، إن تأمل لفيناس هنا يرتكز أساس ضد الوجود وليس نحو الوجود مباشرة هذه هي علاقة الذات بالآخر عندما تتفصل وتتجاوز ذاتها تتحمل كل المسؤولية التي من شأنها أن تتأمل أكثر الآخرين وتفتح مجالات للحوار والتواصل والاعتراف معهم إن الوجود الذي يقتضي الاتحاد له معنى مغاير تماما عند لفيناس تحقق الوجود هو تكامل الذات والآخر تكاملا إيتيقيا قوامه الانفصال ولهذا فكر لفيناس ليس فكرا شاملا بل على العكس من ذلك هو فكر تحرري متنوع وعلائقي هذا هو معنى الخطاب الفلسفي، الخطاب الفلسفي هو خطاب لانهائي يهتم بوجودنا لكنه عليه أن يفتح نقاشا واسعا أمام مفاهيم مثل عزلة الذات، الانفصال، وفهم معنى السقوط من اللانهائي، الخوف، الخجل أو خجل الذات (Levinas, 1971, p. p125)

إن اللانهائي هو ما وراء الوجود حسب لفيناس في مقابل كل ما هو كلي ينبغي أن يحضر اللانهائي هذا هو الانشغال الذي يجب أن يكون المركز في الميتافيزيقا الجديدة هي ميتافيزيقا تتجاوز الكفاية والاحتواء، والاجتثاث يؤكد لفيناس أن ديكرت كان يدرك ذلك عندما أسس للكوجيتو بمعنى يدرك أن الذات مجالها التفكير والتصور أمام ذلك لا توجد مهمة أخرى للذات فإن الموضوع الأساسي للميتافيزيقا الجديدة هي ليس موضوع الكفاية بل موضوع عدم الكفاية أي على أن تتجاوز كما يقول لفيناس: "الثقل الذي يخصها" (لفيناس، 2015 صفحة 35)

إن الفشل والسقوط هي وسيلة للتعالي وما أكثر هذا الأسلوب في الميتافيزيقا التقليدية، اللانهائي عند لفيناس ليس سلبا بل هو تحقق لكل والتاريخ كما هو تحقيق لتشارك العيش المشترك اليوم، المجتمع بالنسبة للفيناس كلما زاد انفصالا واستقلالاً، كلما كان أكثر اتحادا ونحن ندرك حقيقة الانفصال، والاستقلال وتحمل المسؤولية وكل أشكال الإيتيقا عند لفيناس، اللانهائي هو وصول إلى الآخر. حاجة الإنسان في الوجود ليست فقط الكفاية بل هو عدم الكفاية كما أن ذلك يستدعي تكملة متجانسة وهي رغبة في عدم تجانس بدون هذا الانفصال لا تكون هناك الحقيقة كذلك بالنسبة للآخر الذي هو أمامنا المظهر الخارجي للآخر حسب لفيناس يتمثل في جاذبيته بالنسبة إلي هذا يوصلنا حسب لفيناس إلى حقيقة مفادها لا يمكن أن نرى أنفسنا بأنفسنا هذا ليس صحيحا وإنما نحن نرى ونتعلم من الخارج من الآخرين، ومن طبيعة الإنسان أن يكون كائنا متعلما وهذا التعليم هو علامة من علامات المظهر الخارجي الذي يتغلغل في داخلي ومن غير المعقول حسب لفيناس أن يتطور العقل من تلقاء نفسه أنا يحقق أنه من تلقاء نفسه، كما أن المعرفة لا تكتشف عن طريق باطن محدد مسبقا بل على العكس من ذلك الحقيقة تقتضي أنها تأتي من الخارج ومن مكان آخر (Levinas, 1971, p. p126) من هذا المنطلق يتضح حسب لفيناس أن طريق الفكر هو طريق اللانهائي، وطريق الانفصال ونظرة لفيناس هنا للوجود هي أقرب إلى نظرة "جان

برون" في كتابه الموسوم: "بفتوحات الإنسان والانفصال الوجودي" يؤكد أن الحلم التقني أدى إلى قمع بعض الجوانب الأساسية للحالة الإنسانية ونحن نسعى إلى القضاء عن الانفصال في الزمان والمكان من خلال جعل أنفسنا ننتشر في كل مكان تقريبا بسبب تلك السرعة التي حققها الحلم التقني، وفي النهاية نسعى للحرب من أجل أن لا نموت، سيكون من العبث إدانة التقدم التقني، لكن يجب علينا أن نمنعه من أن يؤدي إلى حضارة القوة فإذن يجب الحفاظ على الانفصال الوجودي وهذا ما يعرف بالضبط عند كانط بالاحترام (le respect) أصل فكرة لفيناس هو كانط وكأن لفيناس يتحدث عن هذا الاحترام الذي يدين له كانط بشدة في العلاقات الإنسانية خاصة بين الذات والآخر (Schiffer , levinas, 1992, p.47)

وهذه العلاقة هي ايتيقا قائمة على هذا الاحترام إن لفيناس يتجه دوما إلى الوجود وربما كما يعتقد البعض هو ضد الوجود، بحكم أنه يعترف مطلقا أنه ينبغي فهم الموجود أكثر من الوجود في حد ذاته، وعندما يؤكد على ذلك فهو يخالف الميتافيزيقا التقليدية هذا الموجود يكون له حضور فعال وظهور وانكشاف على أساس أنه وجه، الوجه الإنساني وما نجده خلف هذا الوجه هو اللاوجه الإلهي (فال، 2019، صفحة ص154) هذا النوع من النوع من الإيتيقا أهملته الميتافيزيقا التقليدية، ايتيقا على شكل قصدية ليست مجتثة، هي قصدية معيشية بها تتحقق الذات تجرب من خلالها العالم والآخر، وتحدث اللقاء معهم هذا في حد ذاته هو لغة كما الآخر الذي أقبله وجها لوجه ليس نداء ومطلب يتقاسم معي العيش ماديا في العالم وما إلى ذلك، الآخر هو وجه له معنى لذاته ومن خلال ما سبق يؤكد لفيناس أنه علينا أن نحول الذات من ذات معزولة إلى ذات ايتيقية وليس إلغاءها هكذا وصف "بول ريكور" فيما بعد بأن فلسفة لفيناس فلسفة أحادية (بوطيب، 2019، صفحة ص57)

لكن لفيناس هو أبعد من ذلك يريد إن يفك تلك العزلة عن الذات لأنها عندما تقابل الآخر وكل ما يوجد أمامها وجها لوجه فذلك ما يعرف عند لفيناس بالإنسانية حسب لفيناس مبدأ الإنسانية يتجلى في هذا التقابل الإيتيقي بين الأنا والآخر، تقابل ليس قائما على تواطؤ أو شيء من هذا القبيل وإنما كما يقول لفيناس: "تجلي الوجه كوجه يفتح الإنسانية إن الوجه في عريه يعرفني عن فقر الفقير، ومنفى الغريب غير أن هذا الفقر وهذا المنفى، بمناداتهما لسلطتي يقصداني ذاتي فلا يستسلمان لسلطتهما كمعطيات (...)" (لفيناس، الكلية واللامتناهي، صفحة 238) من خلال ما سبق يتضح أن لفيناس من الفلاسفة الذين يمنحون الأهمية الكبرى للعلاقة بين الذات والآخر فقط تلك العلاقة تكون علاقة ايتيقية أخلاقية بالدرجة الأولى ومن ثم تكون الأخلاق بالنسبة له كمبحث فلسفي هي من تسبق مبحث المعرفة أو بتعبير أدق فلسفة المعرفة، وما الآخر عند لفيناس سوى هذا الذي التقى به عبر وجهه ومن خلال هذا الوجه أدرك بأنه كائننا ليس كباقي الكائنات الأخرى موضوعيا أي بمعنى عند ما أقصده بهذه الكيفية يتضح لي ككائن ليس مختزلا في أطر مغلقة، ولهذا يؤكد لفيناس أن هذا الآخر الذي تعتبره وتراه على أنه غريبا ومختلفا عنك لا ينتمي إليك ولذا أنك أو لفائدتك ولمصلحتك، أو حتى عواطفك لكنه لا ننسى بأنه آخر ينظر إلينا (لوني، 2020، صفحة ص195) .

انطلاقا من هنا يكون قراءة مشروع لفيناس ترتين الخطاب الفلسفي الغربي المعاصر داخل ميتافيزيقا تتأولها كحدث إيتيقي لم يسبق أن كان له مثيل، ذلك في نظره الخطاب الفلسفي الميتافيزيقي السابق في

عصره خطاب تنسى فهم العلاقة بين الذات والآخر أكثر لقد أصبحت كل التأويلات والتصورات التي أنتجت وقدمت في تلك العصور حول هذه العلاقة صارت كل التصورات مجرد بدعة وتحلة رائجة إن صح القول في الخطاب الفلسفي (الشيك، 2006، صفحة ص128).

6-الخلاصة :

في ختام هذه الدراسة التي تناولت مسألة الوجه كنداء إيتيقي في فهم الآخر والتواصل معه ومعرفة هويته يعيننا فيها ما يلي:

_ أن فلسفة ليفيناس حول الوجه تمثل انتقالاً جوهرياً في مسار الفكر الفلسفي، حيث لم يعد الوجه مجرد معطى أنطولوجي بل نداء إيتيقي يؤسس لعلاقة مسؤولة مع الآخر، بما يحرر الميتافيزيقا من انحصارها في ذات مكثفة بذاتها وبهذا يكون ليفيناس قد فتح أفقا جديداً للفلسفة، أفقا يجعل الإيتيقا ليست مجرد فرع من المعرفة، بل البنية الأولى والأساسية التي تقوم عليها كل فلسفة حقيقية.

كذلك نجد النتيجة العلمية الأبرز هي أن ليفيناس نجح في تحويل مفهوم الغيرية إلى حجر زاوية في التفكير الفلسفي، مما يعيد صياغة علاقة الفلسفة بالواقع ويمنحها وظيفة عملية تتجاوز التنظير لتلامس أسئلة الهوية والتعايش والثقافة. وهذه الإضافة تجعل من مشروعه الفلسفي خطاباً راهنياً يمتلك قدرة على مواجهة تحديات عالم اليوم.

أما على صعيد الآفاق البحثية، فإن مساءلة ليفيناس تفتح إمكانات واسعة، من بينها:

- _ دراسة إمكان إدماج مفهوم الوجه في مجالات التربية وبناء مناهج تعليمية تعزز ثقافة الاعتراف والحوار.
- _ ربط الغيرية بمسائل الهجرة وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية بما يعكس بعدها الكوني.
- _ مقارنات معمقة مع فلسفات معاصرة كالفاعل التواصلية عند هابرماس أو التفكيك عند دريدا من أجل صياغة نظرية شاملة للحوار والاعتراف.

بهذا يمكن القول إن فلسفة ليفيناس لا تقف عند حدود التنظير، بل تتجاوزها لتكون أداة حية في تكريس ثقافة العيش المشترك والمسؤولية المتبادلة في أفق حضاري وإنساني أرحب.

- المصادر والمراجع:

_ إيمانويل ليفيناس، (2015)، الزمان والآخر، ترجمة: منذر العياشي، دار نينوى للنشر والتوزيع، دمشق، ط1

_ جان فال، (2019)، الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر، ترجمة: فؤاد كامل، أقلام عربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1

_ إيمانويل ليفيناس، (2021)، الكلية واللامتناهي، ترجمة: عبد العزيز بومسهولي، صفحة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1

_ محمد الشيكري، (2006)، هيدغر وسؤال الحداثة، إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، المغرب، ط1،
_ إيمانويل ليفيناس، (2008)، من الموجود إلى الغير، ت: علي بومحلم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1

_ رشيد بوطيب، (2019)، نقد الحرية مدخل إلى فلسفة إيمانويل ليفيناس، تقديم: أكسل هونيت، دار النشر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1

_ مارك لوني، (2020)، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ت: الزواوي بغورة، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1

_ Daniel Salvatore Schiffer(1992), la philosophie d, Emmanuel Levinas

Métaphysique, esthétique, éthique, presses universitaires de France.

_ Emmanuel Levinas(1971), totalité et infini essai sur l'extériorité, Edition : Martinus Nijhoff.

_ j. Lacroix, (1986) panorama de la philosophie française contemporaine, presses universitaires de France, paris.